حياة السعادة والشرف
للشاب المصرى
للأستاذ سلامة موسى

كانت مدام دوستال الأديبة الفرنسية المشهورة تقول "إننا ننشد المجد حين نفقد السعادة" وفى هذا القول شىء من الصحة . فإن من يطلب السعادة يتوخى تجنب العقبات والعوائق ويقصد الى الهين اللين من الأمور . وطريق المجد من الطرق الوعرة التى تتطلب الجهاد . فبين الاثنين — المجد والسعادة — تناقض الى حد ما.

وكذلك الشأن فى الشرف ، فانه كالمجد . قد يتعارض مع السعادة أو على الأقل مع السعادة المادية . فان أحدنا قد يطلب الكسب ولا يبالى مأتاه . ثم يرضى بهذا الكسب قانعا بالسعادة المادية التى يجنيها منه دون أن يفكر فى من ظلم فى سبيل مطامعه المالية ولا يبالى أية ناقة قد أحدث فى غيره بخططه الاقتصادية . وحسبه من الدنيا لذة الثراء وسعة العيش . أما الشرف — ولا نقول المجد — فقد وضع على الرف .

ولكن هذه السعادة التى تتعارض مع الشرف أو المجد ليست هى السعادة المثلى ، تلك السعادة التى يجب أن تحيط بأشخاصنا وأعضاء عائلاتنا والمجتمع الذى نعيش فيه . سعادة الاخوة والبر التى تنأى عن الأنانية ، وهذه السعادة تتفق مع الشرف، وهى واجب على كل فرد منا . أجل يجب — كما يقول ستيفنسون — أن نؤدى واجب السعادة وأن نتعم فيها . وفن السعادة ينحصر فى أن نسعد غيرنا فنسعد بسعادتهم وان نطلب الخير لهم فيحل الخير لنا . وعندئذ لانجد أن السعادة والشرف يتفقان فقط بل إن الشرف يؤدى الى السعادة وطريق الواحد هو طريق الأخرى . والانسان اجتماعى بطبيعته لايمكنه أن ينفرد أو يعتزل . وحين يفعل ذلك انما يفعله بجسمه وليس بروحه . ومالنا من ضمير ولغة أو ثقافة أو آمال أو مثليات انما هو قبل كل شىء ملك الجماعة الانسانية ومن مخترعاتها، ولهذا السبب لا نستطيع أن ننفرد بسعادتنا ونستأثر بها . و اذا فعلنا فننا نشقى لأن السعادة اجتماعية

ولذلك من المحال أن يشقى المجتمع ونعيش نحن فيه سعداء . بل إن السعادة فى مثل هذه الظروف تعود رذيلة منكرة قائمة على أنانية غشيمة . وقصارانا فى هذه الحال أن نطلب — كما يقول هيجيل — الحياة الطيبة ونرجئ السعادة كأنها أمنية نرجوها للمستقبل . وفى هذه الحياة الطيبة قد نتعب ونشقى ولكنا عند التأمل نحس سعادة سامية أنيقة .

فحياة السعادة والشرف للشاب المصرى يجب ان تكون — بل لامفر من أن تكون — حياة السعادة والشرف للمجتمع المصرى . بل إن الاضطراب القائم فى العالم الآن يثبت أنه لا يمكن أمة أن تسعد اذا كان غيرها فى شقاء ، وأنه لكى تحظى الأمم بالسلام المنشود يجب قبل ذلك أن يعم الرخاء العالم كله ، وان يأخذ بالتعاون وتعميم الرفاهية حتى لا يحتقن الحقد ويشب يوما نارا وحربا .

ولكن كلمات السعادة والشرف والواجب ، هذه الكلمات التى يعد كل منها مؤسسة بشرية سامية ، قد طرأ عليها تغير أو تطور أو على الاقل اضطراب وتقلقل . لأننا لا نعيش فى زمن الاستقرار والاطمئنان ولكن فى اضطراب عالمى يجعلنا نحس كأننا فى غروب عصر يوشك على الزوال أو فجر عصر آخر يوشك أن يغمرنا بنوره . وهذه الاحوال تضطرنا الى أن ننظر فى أقيستنا الاجتماعية والروحية والاقتصادية وأن نقوم كلا منها بالقيمة التى تستحق فى ضوء الفجر الجديد وان ينفعنا أن نفر من الحاضر ونلوذ بالماضى ونركن الى التقاليد .

وهنا مشكلة الشاب فى عصرنا فإنه حين يشرع فى أن يتحسس طريقه الى المستقبل يحس كأنه قد بدأ سياحة خطرة فى أرض مجهولة بلا خارطة وبلا بوصلة . وهو عندئذ يحتاج الى الاستقلال والى أن يضع بنفسه أقيسته ، وهذا الاستقلال يعنى أنه حر ، ولكن الحرية هنا هى المسئولية بل سلسلة المسئوليات العديدة . وهذه المسئوليات لا يمكن الاضطلاع بها الا بعد التفكير والدرس . وأكاد اقول لهذا السبب إن الثقافة فى عصرنا واجب دينى لانه ليس شىء أخطر من الجهل .

لقد كان يمكن الناس قبل مائة سنة أن يعيشوا فى جهل . ولم تكن حالهم الاجتماعية لتتأثر كثيرا بهذا الجهل ، لأن مجتمعهم كان بسيطا ، ولم تكن الحياة تطلب الكثير الفنى الدقيق من المعارف العلمية أو الاجتماعية ، إذ كانوا يعيشون فى مجتمع قروى ساذج .

أما الآن ، فإن المجتمع العصرى يشبه المصنع الكبير الذى تعددت آلاته وتنوعت ماكيناته الكهربائية والموطرية والبخرية ، وقد اشتبكت جميعها حتى لاسعة لأحد لكى يسير بينها ويتفادى من أخطارها إلا إذا كان على دراية تامة بتفاصيلها . لأن الأخطار محدقة به من كل ناحية ، والجهل هنا يؤدى إلى الموت .

لقد كنا قبل مائة سنة نعيش فى جهل ، ولم يكن يضرنا هذا الجهل ، لأن الحياة الريفية الزراعية كانت ساذجة ليس فيها فن أو علم ، ولكنا فى سنة ١٩٤١ نجد أن هذا الجهل قد أوقع ١٥ مليونا مصريا فى الأمراض التى نشأت عن سياستنا المائية أو نظام الرى ، فالفن أو العلم قد دخل فى الزراعة المصرية وأحدث نظاما فى الرى جهل السكان والمهندسون عواقبه فى الصحة فكانت النتيجة وبالا علينا جميعا .

وهذا هو الشأن أيضا فى الحرب القائمة : علم قد تعمق واستأصل فى الصناعات ارتقت به الفنون الحربية ، مع جهل فى السياسة التى لا تزال تتكلم بلغة الاستعمار والامبراطوريات والمواد الخامة والأسواق — لغة القرن الثامن عشر والتاسع عشر — فكانت النتيجة هذا الوبال العظيم ،حرب تجرى بفنون سنة ١٩٤١ وعلومها وسياسة لا تزال تعيش فى سنة ١٧٥٠

إن الشاب المصرى يتحمل الآن مسئوليات جساما عن شخصه ، وعن عائلته ، وعن مجتمعه ، وهو لن يبرأ من هذه المسئوليات إلا بالدرس والعمل ، والدرس قبل العمل ، لأن الضمير الاجتماعى الحسن هو الضمير الاجتماعى المثقف .

إن الشاب المصرى يتطلع إلى السعادة ، وإلى رؤيا مصر الناهضة ، وإلى السلام العالمى ، وإلى الرخاء ، ولكن كل هذه المثليات لا قيمة لها إلا إذا قامت على العلم الدقيق والمعارف الفنية ، وإلا فقد نندفع فى خطة إصلاحية — مثل خطة الرى — تجلب علينا فى النهاية الموت والمرض والضعف بإفشاء الديدان بين السكان .

وقد يقول الشاب هنا ، ان هذا تكليف ثقيل ، مالى وللدرس فقد قضيته فى المدرسة وأنا أنشد السعادة ، ولكن الرد هنا واضح، وهو أن السعادة ليست هى الرخاوة وليست هى الخمول والاستسلام والاستمتاع ، وإنما هى قبل كل شىء شرف وواجب .

إن الأستاذ بيتكين — وهو أستاذ أمريكى — يقول إن الحياة تبدأ فى الأربعين ، وقد رد عليه مؤلف انجليزى آخر بكتاب ضخم يقول إن الحياة تبدأ فى الخمسين ، وهما يناديان بكتابيهما الشيخوخة الناهضة ويطالبان الشيوخ بالدرس والعمل والجد والشرف والسعادة ، أجل ، لأنه لا سعادة بلا درس وعمل وجد وشرف .

وإزاء هذين المؤلفين نستطيع أن نخاطب الشاب المصرى وأن نقول إن الحياة تبدأ حقا فى الشباب على الرغم مما يقول بيكين ، وتختلف حياة الشباب من حياة الشيوخ ، من حيث إن الأولى تنحو ناحية الدرس والجد والاستهلاك ، أما الثانية فتنحو ناحية التأمل والتؤدة والإنتاج : فإن الشاب حين يترك المدرسة أو الكلية يواجه عالما جديدا يحس منه أنه سيعطيه من الدرجات غيرما أعطته المدرسة ويطالبه بواجبات عملية فى العائلة والمجتمع والحرفة . فقد يكون هذا الشاب قد درس ديانته وهو بالمدرسة أو قبل أن يبلغ من العشرين،ولكنه بعد هذه السن يحس أن الدين ليس محض القراءة فى قرآنه أو إنجيله ، وإنما هو عمل بار وجهد روحى بين أبناء أمته وسعى للخير ومكافحة للرذيلة ، ثم هو يحس أنه

مطالب بأن تكون له شخصية محترمة تدعو إلى العناية بصحته ولباسه وذهنه وعائلته ومجتمعه ، وليست وفرة المسئوليات التى تواجهه مما يثقل عليه تحمله ؛ لأن الواقع أنه يتقبلها فى بهجة ونشاط كذلك السابح الذى ينشط إلى مكافحة الأمواج ويحس العافية بجهده ، وهذه التكاليف الجديدة هى التى تكون شخصيته .

وأعظم ما يواجه الشاب ويستغرق همومه ونشاطه ثلاثة أشياء هى :

(١) العمل أو الحرفة التى يحترفها لكى يرتزق منها .

(٢) العائلة التى يكونها .

(٣) مكانه فى المجتمع .

والاضطراب فى هذه الأشياء أو فى واحد منها يجعل الشاب غير سعيد ، وذلك لأن الانسان حيوان اجتماعى ، وهو يسعد عند ما يجد أن له مكانة محترمة فى مجتمعه ويسعد عند ما يجد أنه رب عائلة يسعى لخيرها ويحس أنها هى أيضا تسعى لخيره ، وليست الحرفة مجرد كسب العيش وإنما هى أيضا مجهود اجتماعى للخدمة العامة فى المجتمع وقد ذكر بعض البيولوجيين أن هناك نوعا من الغزلان إذا تخلف عن القطيع لسبب ما برك حيث هو ورفض الحركة كأنه يحس أن الحياة منفردة منعزلة بعيدة عن القطيع لا معنى ولا مغزى لها ، وخير منها الموت . وفى نفوسنا نحن البشر شىء من هذه الغريزة فاننا لا نحب أن ننقطع عن المجتمع ، وإذا فعلنا فاننا نبتئس ونشقى . ويجب أن نؤكد هذه الحقيقة ونكررها ، لأنه لا سعادة ولا شرف ولا شخصية ولا رقى لأى فرد ما إلا بمقدار خدمته للمجتمع . والابتعاد عن المجتمع لا يعنى الترك والانفراد فى مكان ناء فقط ، فإننا نبتعد عن المجتمع حين نخالف سننه ونتمرد على عرفه ، وحين تدفعنا الأنانية إلى اتخاذ أساليب تضر بالمجتمع فى عيشنا أو تكسبنا أو تصرفنا حتى ولو لم يؤد هذا الإصرار إلى إيقاعنا فى الجريمة .

فأما الحرفة فيجب لكى نسعد بها ولكى نؤديها على أحسن وجه أن نكون قد اخترناها عن حب وتعلق وليس عن قسر وكراهة ، ومعظم السأم الذى يصيب الشاب ويجعله يفتش عن مسليات كيماوية مختلفة يعود إلى أنه يكره عمله وأنه يحب أن يسرى عنه سأمه ، وهو بعد إرهاق العمل ساعات متوالية كل يوم يفكر فى الفرار منه وقد يقع فى عادات سيئة نتيجة لهذا الفرار .

فيجب على كل شاب أن يحترف العمل الذى يحب حتى ولو كان دخله ، أى كسبه منه دون كسبه من عمل آخر غير محبوب . لأنه سوف يتعوض من هذا النقص المالى سعادة عظمى تعود عليه من حبه لعمله وأيضا من إتقانه له لأنه يحبه . ولكن هناك حالات يجد فيها الشاب

وقد كلف عملا يكرهه أو هو لا يتعلق به كل التعلق . وكثير من الشباب يجدون أنفسهم فى هذه الحال . وهنا تبرز لنا قيمة الهواية . فاذا لم تحب عملك فاصطنع هواية والجأ اليها فى فراغك . ولتكن هذه الهواية درسا أو لعبا أو رياضة أو أى عمل آخر تهواه . فانها تعيد للنفس اتزانها وتجدد النشاط وتخفف من سأم الحرفة . ولكن خيرا من هذا وذاك أن تحترف هوايتنا اذا استطعنا ذلك . لأننا عندئذ نوحد بين جدنا ولعبنا ولا نسأم العمل . وليس هذا بالشاق اذا اختار الشاب وهو لا يزال فى طور التحصيل لدراسة التى يجد فى نفسه ارغبة الحادة لها . ولكن يجب أن نذكر أن الحرفة ليست للاستقرار وانما هى للتجديد والترقية والتحسين . وهناك شبان قد حصلوا على الوظيفة التى يكسبون منها عيشهم ولكنهم يستكينون اليها كأنهم فى تقاعد الشيخوخة فلا ترقى بهم حرفتهم ولا يرقون هم بها . بل يركد الاثنان . والركود منا هو نقيض السعادة . لأن السعادة الانسانية ليست استقرارا وانما هى تطور وتجدد ونمو وتوسع .

وجميع الحرف أو الصناعات تتسع للتحسين ولو من ناحية الدقة فقط . ولكن يجب على كل حال أن تتعلق بهواية . وما أدرانا ؟ فلعل هذه الهواية تعود يوما ما وهى العمل الذى نعيش به ونتكسب منه !

ويجب على كل شاب أن يحترف حرفة ما ، وأن يرفض التعطل . لأن للحرفة أثرا فى تنمية الشخصية وترقية الذهن . وكلنا يعرف ذلك الشاب المتعطل الذى لا يبالى ملابسه أو حتى مشيته . فهو مهمل الهيئة قليل العناية ليس بلباسه فقط بل بجسمه وذهنه . وليس بعيدا بعد ذلك أن يهمل ضميره . ونستطيع أن نذكر هنا أثر العمل والكسب فى الأخلاق . فقد عنيت إحدى المكتبات العامة فى أوربا بتدوين أسماء العمال الذين يترددون عليها للطالعة أو لاستعارة الكتب . فوجدت أن هؤلاء الأشخاص يقلون قلة عظيمة وقت التعطل و يزدادون زيادة عظيمة وقت العمل والكسب . وهذا عكس ما كنا ننتظر . لأن المنطق السطحى يقول بأن العمال وقت بطالتهم سيجدون الوقت الكافى للقراءة والسلية . أما فى مدة العمل فان وقتهم قليل فلا يقرأون كثيرا . ولكن عكس هذا هو الذى حدث . لأن العمل والكسب يبعثان النشاط فيجد الشاب الوقت والرغبة فى القراءة والاستزادة من الثقافة . وهذا مع أنه متعب من العمل ومع أن فراغه قليل . أما حين يتعطل فان نفسه تركد وهو لا يبالى عندئذ ترقية نفسه بالقراءة .

وهذا المثال يجب أن يكون مقياسا نقيس به قيمة العمل للصحة الذهنية والجسمية معا . ويجب لهذا السبب أن يعد كل شاب نفسه لعمل ما ، وأن يرفض التعطل حتى ولو كان ثريا لا حاجة به الى الكسب . لأن العمل حافز الى الرقى . والرقى يجعلنا سعداء وينمى شخصيتنا .

فإذا انتظم لنا العمل أو اذا انتظمت لنا الهواية التي نعالج بها سأم العمل غير المحبوب فإنما نكون قد قطعنا شوطا بعيدا في تحقيق السعادة . وعندئذ نواجه مسألة أخرى هي العائلة — نعني العائلة التي يكونها الشاب بالزواج . فمهما يكن نجاحنا في الحرفة فإننا لن نسعد اذا شقينا في العائلة . والعائلة التي نسعد بها هي تلك التي تنبني على الحب والتي تؤلف على الأسس الديمقراطية بين الزوجين . حيث تسير شؤون البيت بالشورى. ولكن العائلة مثل الحرفة تحتاج الى التهيؤ .

والتهيؤ للعائلة يقوم على صيانة الصحة بالابتعاد عن الرذائل التي تؤدى الى الأمراض الجنسية والتناسلية . وكلنا يعرف ذلك الشاب الذى يسلك سلوك التشرد الحرفى . يأخذ بهذه الحرفة شهرا ثم ينتقل منها الى أخرى ثم إلى أخرى . فلا يحسن شيئا . ولكنا ننسى أن هناك تشردا جنسيا قد يقع فيه الشاب قبل الزواج . بل قد يصير فيه التشرد عادة تلازمه بعد الزواج . وهذا التشرد يوقعه فى أمراض وبيلة قد يعيش مدى عمره وهو نادم عليها مكابد لآلامها . بل قد يتعود عادات جنسية بحيث لا يسهل عليه الاقلاع عنها . فإنه فى تشرده الجنسى يقنع من الحب بالشهوة، هذه النهزة التى تنزف قواه الجسمية والذهنية والروحية . فيبدأ حياته الزوجية وهو منهوك منزوف . بل هو يبدؤها فلا يجد ذلك الزواج الذى يحفل بالمذائذ الاكتشافات الجديدة . وهذا التشرد الجنسى قد يشبع النهمة الجسمية ولكنه يفسد النظام النفسى لانه لا يلتئم مع الحياة الاجتماعية . والرذيله تتغذى بالرذيلة . وكلما استسلم الشاب للتشرد الجنسى وجد أنه ينحدر يوما بعد آخر نحو الهاوية . لانه لن يشبع من حياة الرذيلة . وهذا التشرد لايعرف الحب . وفرق عظيم بين الحب والشهوة. الحب ينمى الشخصية ويكون السعادة ويربى الحب، ومكانه الزواج . أما الشهوة فتستهلك المرأة والرجل معا . الشهوة لذة عابرة أما الحب فسعادة مقيمة . والشهوة الحيوانية الفطرية التى يختطفها الشاب لا تقارن بالحب الانسانى المثقف الذى هو ثمرة الزواج . ومن هنا قيمة العفاف والتصون قبل الزواج .

وقد كثر الكلام هذه السنين الأخيرة عن فرويد وتأكيده للخطورة العظيمة للكظم الجنسى . ولكن فرويد لم يقل قط بالاستهتار والاستسلام لنداء الجنس. فان الطاقة الجنسية يمكن أن نتسامى بها ونستخدمها لا لعبقرية الذهن ولكن لعبقرية الإرادة . وعندئذ تستحيل تيارا يقوى بحبسه ويوجه نحو الخير والخدمة .

ولكن الشاب لكى يحيا حياة الحب يجب أن يتزوج بطريق الحب . وهناك اعتبارات أخرى لاننكر قيمتها ولكنها جميعها ثانوية إزاء الحب . ومن هذه الاعتبارات أن يتزوج من طبقته فتاة تقاربه فى المكانة الاجتماعية والدرجة الثقافية . ويجب على الشاب أن يعقد نيته على أن يؤسس بيتا ديمقراطيا وأن يجعل من زوجته زميلة وليست امرأة قاصرة توجه

وتقاد . وقد يرتاح بعض الشبان الى فكرة المرأة القاصرة الخاضعة التى ليس لها رأى . لأن قصورها أو خضوعها يكبر شخصيتهم ويوهمهم عظمة واختيالا ورياسة . ولكن هذا خطأ عظيم . لأن المرأة الراشدة خير من القاصرة . والمثقفة خير من الجاهلة والشاب الذى يبنى بيتا وعائلة يجب أن يحسب للمستقبل طوارئه . وخير له ولأولاده أن تكون زوجته امرأة راشدة مثقفة تستطيع أن تقرأ المستقبل وتتبصر فى العواقب وتربى أبناءها حتى ينشأوا رجالا نافعين . والأم التى تحسن التربية وتنشئ أبناءها مستقلين لهم كرامة ولهم نزعات المجد والشرف يجب أن تحوز هى نفسها هذه الصفات .

وقلما ييئس إنسان اذا كان سعيدا فى عائلته . والعائلة هنا تكبر قيمتها على أى شىء آخر . فإن حرفة الإنسان ومكاسبه وأيضا مكانته الاجتماعية ليست لها جميعها سوى القيمة الهامشية الى جنب السعادة التى نجنيها من الزوجة المحبة الزميلة التى نحتاج الى رأيها ونشعر كأنها هى عقلنا الباطن . هى سريرتنا . نحبها ونحترمها معا . والرجل السعيد الذى احب زوجته وزاملها لا يخشى عليه من ان يشطح ويشذ . ولن تجده متسكعا فى القهوات أو غيرها لأنه يحس أن بيته هو ملاذه ، وهو جنته على الأرض .

بعد الحرفة وبعد العائلة يحتاج الانسان لكى يحقق الشرف والسعادة إلى أن تكون له مكانة اجتماعية ملائمة لمركزه أى أنه يحتاج الى الملاءمة الاجتماعيـة والى أن يحس أنه عضو نافع فى المجتمع . وصحيح أن هذا الإحساس ينشأ من الحرفة ومن العائلة ولكن يجب أن تكون هناك مظاهر أخرى تبرزه وتنشطه . فيجب أن تكون لكل شاب فلسفة وجيية يعرف بها مكانه من المجتمع بل من الكون . وهذه الفلسفة هى ثمرة الثقافة النامية والتوسع الذهنى اللذين لا ينقطعان . وهى تتألف من دراسة متصـلة فى الآداب والاجتماع والتاريخ . ولكن النظريات وحدها لا تكفى . فلا بد أن نضيف اليها العمل . ويجب على الشاب لهذا السبب أن يؤدى نوعا من البر وعملا من الخير يشعره بمنفعته . وكما أن الرذيلة تتغذى بالرذيلة كذلك الفضيلة تتغـذى بالفضيلة . والشاب الذى يدعو الى إصلاح يجد نفسه دارسا عاملا مجدا يبحث المسائل والمشكلات الاقتصادية والاجتماعية وقادرا بل متجرئا على حلها .

إن السعادة التى ينشدها الشاب تحتاج إلى :

(١) اختيار الحرفة المحبوبة حتى نرقى بها .
(٢) وتأليف العائلة الحسنة لكى تكون موئلنا وملاذنا فى الحياة .
(٣) وخدمة المجتمع حتى يعطينا المكانة التى نستحق .

ومتى وضع الشاب غايته فى هذه الأشياء الثلاثة فإنه لا بد مكتشف فى طريقه واجبات يحتم عليه أداؤها .

من ذلك مثلا الدرس والمعرفة . فإنه يجب أن يدرس وأن يعرف أشياء كثيرة والكثير من الشبان يقنع من الدرس بالشهادة ولكن هـذه الشهادة يجب أن تكون البداية للتثقيف

الذاتى وليست النهاية . ويجب أن تكون لكل شاب مكتبة خاصة فى بيته تنمو معه ويدل اختيار الكتب فيها على شخصيته ورقيه .

ومن ذلك مثلا صحة الجسم . وهذه الصحة تتحقق بالاعتدال . وبالابتعاد عن العادات السيئة . فإننا قد لا نبالى العادات الصغيرة تبدأ ونحس إننا نملكها ثم لا نلبث أشهرا أو سنوات حتى نجد أنها تملكتنا وهذا هو الشأن فى عادات التدخين والشراب . والصحة الحسنة هى سمفونية بديعة تتغنى بها اعضاء الجسم وتجعل أعباء الحياة خفيفة هينة .

وطور الشباب هو الطور الذى تتكون فيه العادات . وإنى حين أرى شيخا فى الستين قد استكرش وسهدلت عضلاته وانحنى ظهره وآخر قد بلغ السبعين وهو يثب وثوب الشباب وفى عينيه وميض الذكاء وفى وجهه بريق الصحة لا أتمالك من الشعور بأن كلا منهما قد تعود عادات منذ الشباب تخلف من عادات الآخر فى الطعام والشراب والرياضة والنوم والعمل والراحة فيجب على كل شاب أن يحذر من الوقوع فى عدة سيئة مهما كانت تافهة وأن يحيل لنفسه شخصه حين يبلغ الستين والسبعين اى رجل سيكون ؟ شابا فى السبعين أم شيخ فى الستين ؟

كذلك الشأن فى التربية الذاتية، هذه التربية التى تعد فرضا على كل شاب. يربى نفسه فى شبابه وكهولته وشيخوخته ولا يترك فرصة الا ويتعلم منها درسا أو عبرة . وعندئذ يستطيع أن يقول مع الأستاذ بيتكين أو مع زميله الانجليزى " الحياة تبدأ فى الخمسين " أجل تبدأ ولا تنتهى .

لقد تحدثت عن الفلسفة التوجيهية، وعن واجب الثقافة والتربية الذاتية وخدمة المجتمع، ولكن كل هذا لا قيمة له اذا لم يكن بروح التدين أى بروح الشعور العميق بأننا جزء من المجتمع و بأنه لا حق لنا فى الأنانية و بأن خير المجتمع هو خيرنا . و بأن الفقر والجريمة والرذيلة والتقذر والفساد وسائر النقائص التى يشكو منها المجتمع إنما هى نقائصنا نحن، وأن واجبا أن نكافحها بكل ما عندنا من قوة ومال وجاه وصحة وعلم وعرفان .

ان الشاب الأمثل هو الشاب الذى لا يعيش على المستوى الغريزى يأكل ويشرب ويسمن . بل يجب أن تكون له مثليات روحية واجتماعية .

هو الشاب الذى يأبى أن يعيش فى فاقة روحية أو ذهنية لا يحس البر ولا يشتهى الثقافة بل يجب أن يمارس الخير .

هو الشاب الذى يأبى أن يعيش بسيكلوجية الدفاع كأنه فى الحياة وراء خط ماجينو . بل يجب أن يتقدم ويكافح ويقتحم .

وهو عندئذ يحقق السعادة — السعادة مع الشرف . أى السعادة مع الجهاد . ليست سعادة الهدوء والدفاع بل سعادة القوة والبر والاقتحام .

هو الشاب الذى يجعل محور سعادته الحرفة والعائلة والمكانة أى الخدمة الاجتماعية . وعندئذ لا تتحقق السعادة فقط بل يتحقق الشرف أيضا ما

سلامه موسى